@ 375 @ آمنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين) ^ يدعو تعالى عباده إلى النظر لما في السموات والأرض . والمراد بذلك : نظر الفكر والاعتبار والتأمل ، لما فيها وما تحتوي عليه والاستبصار ، فإن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ، وعبرا لقوم يوقنون ، تدل على أن ا وحده المعبود المحمود ، ذو الجلال والإكرام ، والأسماء والصفات العظام . ^ (وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) ^ فإنهم لا ينتفعون بالآيات لإعراضهم وعنادهم . ^ (فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم) ^ أي : فهل ينتظر هؤلاء الذين لا يؤمنون بآيات ا بعد وضوحها ، ^ (إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم) ^ أي : من الهلاك والعقاب ، فإنهم صنعوا كصنيعهم ، وسنة ا جارية في الأولين والآخرين . ^ (قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين) ^ فستعلمون من تكون له العاقبة الحسنة ، والنجاة في الدنيا والآخرة ، وليست إلا للرسل وأتباعهم . ولهذا قال : ^ (ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا) ^ من مكاره الدنيا والآخرة ، وشدائدهما . ^ (كذلك حقا علينا) ^ أوجبناه على أنفسنا ^ (ننجي المؤمنين) ^ فإن ا يدافع عن الذين آمنوا ، فإنه بحسب ما مع العبد من الإيمان تحصل له النجاة من المكاره . ^ (قل يأيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون ا ول كن أعبد ا الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين * وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين * ولا تدع من دون ا ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين) ^ يقول تعالى لنبيه صلى ا عليه وسلم ، سيد المرسلين ، وإمام المتقين وخير الموقنين : ^ (قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني) ^ أي : في ريب واشتباه ، فإني لست في شك منه ، بل لدي العلم اليقين أنه الحق ، وأن ما تدعون من دون ا باطل ، ولي على ذلك ، الأدلة الواضحة ، والبراهين الساطعة . ولهذا قال تعالى : ^ (فلا أعبد الذين تعبدون من دون ا) ^ من الأنداد ، والأصنام وغيرهما ، لأنها لا تخلق ولا ترزق ، ولا تدبر شيئا من الأمور ، وإنما هي مخلوقة مسخرة ، ليس فيها ما يقتضي عبادتها . ^ (ولكن أعبد ا الذي يتوفاكم) ^ أي : هو ا الذي خلقكم ، وهو الذي يميتكم ، ثم يبعثكم ، ليجازيكم بأعمالكم ، فهو الذي يستحق أن يعبد ، ويصلى له ويسجد . ^ (وأمرت أن أكون من المؤمنين * وأن أقم وجهك للدين حنيفا) ^ أي : أخلص أعمالك الظاهرة والباطنة ، وأقم جميع شرائع الدين حنيفا ، أي : مقبلا على ا ، معرضا عما سواه ، ^ (ولا تكونن من المشركين) ^ لا في حالهم ، ولا تكن معهم . ^ (ولا تدع من دون ا ما لا ينفعك ولا يضرك) ^ وهذا وصف لكل مخلوق ، أنه لا ينفع ولا يضر ، وإنما النافع الضار ، هو ا تعالى . ^ (فإن

فعلت) ^ أي : دعوت من دون ا ما لا ينفعك ولا يضرك ^ (فإنك إذا من الظالمين) ^ أي : الضارين أنفسهم بإهلاكها . وهذا الظلم هو الشرك كما قال تعالى : ^ (إن الشرك لظلم عظيم) ^ ، فإذا كان خير الخلق ، لو دعا مع ا غيره ، لكان من الظالمين المشركين فكيف بغيره ؟ ^ (وإن يمسسك ا بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا رآد لفضله يصيب به من يشآء من عباده وهو الغفور الرحيم) ^ هذا من أعظم الأدلة على أن ا وحده المستحق للعبادة ، فإنه النافع الضار ، المعطي ، المانع ، الذي إذا مس بضر ، كفقر ومرض ، ونحوها ^ (فلا كاشف له إلا هو) ^ لأن الخلق ، لو اجتمعوا على أن ينفعوا بشيء ، لم ينفعوا إلا بما كتبه ا ، ولو اجتمعوا على أن يضروا أحدا ، لم يقدروا على شيء من ضرره ، إذا لم يرده . ولهذا قال : ^ (وإن يردك بخير فلا راد لفضله) ^ أي : لا يقدر أحد من الخلق ، أن يرد فضله وإحسانه ، كما قال تعالى : ^ (ما يفتح ا للناس من رحمة ، فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده) ^ . ^ (يصيب به من يشاء من عباده) ^ أي : يختص برحمته من شاء من خلقه ، وا ذو الفضل العظيم ، ^ (وهو الغفور) ^ لجميع الزلات ، الذي يوفق عبده ، لأسباب مغفرته ، ثم إذا فعلها العبد ، غفر ا ذنوبه ، كبارها ، وصغارها . ^ (الرحيم) ^ الذي وسعت رحمته كل شيء ووصل جوده إلى جميع الموجودات ، بحيث لا تستغني عن إحسانه طرفة عين . فإذا عرف العبد بالدليل القاطع أن ا هو المفرد بالنعم ، وكشف النقم ، وإعطاء الحسنات ، وكشف السيئات والكربات ، وأن أحدا من الخلق ، ليس بيده من هذا شيء ، إلا ما أجراه ا على يده ، جزم بأن ا هو الحق ، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل . ولهذا ، لما بين الدليل الواضح قال بعده : ^ (قل يأيها الناس قد جآءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ومآ أنا عليكم بوكيل * واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم ا وهو خير الحاكمين) ^ أي : ^ (قل) ^ يا أيها الرسول ، لما تبين البرهان ^ (يا أيها الناس قد جاءكم الحق